البـــاب الثاني

نواقص في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

الفـــصل الأول : حقوق الله جل جلاله.

الفصل الثـاني : حقوق الأنبياء والرسل.

الفصل الثـالث : حقوق الإنسان قبل الميلاد.

الفـصل الرابع : حقوق النفس الإنسانية وتربيتها.

الفصل الخامس : حقوق الوالدين.

الفصل السادس : حقوق الأقارب والأرحام.

الفـصل السـابع : حقوق الجيـران.

الفـصل الثـامن : حقوق ولاة الأمر.

الفـصل التـاسع : حقوق المسنين.

الفصل العاشر : حقوق الإنسان بعد الموت.

obeikandl.com

obeikandl.com

نواقص في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

تحدثنا في الباب السابق في فصوله الأربع عن فكرة وتاريخ ظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأهدافها. كما بيَّنا حقوق الإنسان في الإسلام ومفاهيمها وأساسياتها وشموليتها وعالميتها. وأوضحنا التاريخ الحقيقي لحقوق الإنسان من المنظور الإسلامي. كما ذكرنا الإطار المرجعي لحقوق الإنسان في المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي. وعرضنا في مختصر موجز للقواعد العامة لحقوق الإنسان في الاسلام الذي سيكون المرتكز الرئيسي في مباحث وموضوعات هذه الموسوعة. وفي هذا الباب سوف نتحدث عن جملة لبعضٍ من النواقص التي لم تتضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، التي رأينا أنها ضرورية في تكميل واستدراك ذلك كما ترى من المنظور الإسلامي الحقوقي مما ذكرناه سابقاً خصوصاً ما ورد في (رسالة الحقوق) للإمام زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قلنا فيما تقدم أن فكرة إصدار إعلان عالمي لحقوق الإنسان تزامن مع توقيع ميثاق إنشاء هيئة الأمم المتحدة في مؤتمر سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية ، استناداً إلى المادة (٦٨) الثامنة والستون من ميثاق هيئة الأمم المتحدة التي تنص على إنشاء لجنة لحماية حقوق الإنسان الذي صدر في صورة إعلان عالمي عام ١٩٤٨م متضمناً ثلاثون مادة أقرت بأغلبية أصوات الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة آنذاك، مع أن عدداً كثيراً من الدول لم تشارك في إعداد الإعلان وعلى الأخص كثير من الدول الإسلامية التي كانت تحت الاستعمار أو الانتداب أو الحماية، فلم ينظر الى أهليتها للمشاركة في إعداد هذا الإعلان ودون مراعاة لخصوصيات الشعوب الإسلامية، ذلك أن عالمية حقوق الإنسان والقيم والمبادىء المتصلة بها تستمد شرعيتها على الساحة الدولية من التنوع الثقافي والحضاري السائد في العالم، ولا يمكن العمل بها وتطبيقها بنجاح على كل الأمم والشعوب ما لم يؤخذ في الحسبان التنوع الثقافي والاجتماعي والديني والحضاري للمجتمعات المختلفة.

ولا شك فإن اهتمام هيئة الأمم المتحدة بتعزيز وحماية الإحترام العالمي لحقوق الإنسان ومراعاة حقوقه وحرياته الأساسية هو تعبير عن الاهتمام المتزايد من المجتمع الدولي بالإنسان وحقوقه دون تفريق بين الناس لأسباب إثنية أو دينية أو لغوية أو جنسية .. إلخ. ويعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من أشهر وثائق هيئة الأمم المتحدة وأكثرها فعالية في المجتمع الدولي، ومع هذه الأهمية والشهرة لهذا الإعلان إلا أنه يظل عملاً بشريًا يحتاج دائماً إلى المراجعة والتحسين والإصلاح **لتغيُّر الأزمان والأحداث والعلاقات الدولية والنظم السياسية، وأننا إذ نتحدث عن نواقص في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا نعني انتقاص الإعلان أو التقليل من شأنه، بل نهدف إلى بيان إمكانية إسهام الثقافة الاسلامية في تكميل ما لم يتضمنه الإعلان من مواد هي من وجهة النظر الإسلامية مهمة** استناداً إلى ما يلي :

١ــ إن علم الإنسان لا يتسم بالشمولية والموسوعية، فكل تخصص علمي يكمل الآخر، ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1]، فالإنسان في عمله يحتاج دائماً إلى أن يستزيد، وليس علمه بمكتمل، والعقلاء يدركون استمرار التجارب العلمية في مجالات العلوم دون توقف طلباً للاستزادة وتحسين نتائج العمل العلمي، يقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

٢ ــ العمل البشري لابد أن يشوبه النقص ولا يمكنه أن يرقى إلى مراقي التمام والكمال، وإلى هذه الفكرة نورد المقولة الشهيرة في التراث الإسلامي للعماد الأصفهاني الذي يقول فيها : «**إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر**».

٣ــ ولاستدراك النقص في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لابد فيه من مشاركة الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية بتضمين الإعلان بعض المواد التي

تتفق وخصوصيات الأمة الإسلامية التي لم تشارك معظم دولها في إعداد الإعلان ولبيان الإسهام الإنساني في الإسلام وحضارته، فلقد اتخذت الأمة الإسلامية خطوة إيجابية في ذلك من خلال إعداد إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام الذي صدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي مما تحدثنا عنه سابقاً ويمكن الرجوع إليه في ملاحق الموسوعة. وهذا من حقوق المسلمين أن يشاركوا في العمل العالمي ضمن أسرة المجتمع الدولي، اعترافاً بخصوصية الدين الإسلامي وإنسانيته العالمية وما يمكن أن يثري به مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والذي أدرك حقيقته القاضي الأمريكي جستس جاكسون إذ قال : «لقد حالت العوائق دون نشوء اهتمام عام بالشريعة الإسلامية، ومع أننا مدينون للحضارة الإسلامية بالشيء الكثير كما تظهر تقاريرنا التي لا تنتهي، فإن انطباعنا كان دائماً بأن العالم الإسلامي ليس لديه ما يسهم في إثراء مادتنا القانونية. ولكن إعادة نظر موضوعية بالأسباب التي حملتنا على الظن بأن تلك الشريعة غريبة عنا وغير مفيدة لنا، حقيقة بأن تقنعنا بالتخلي عن ذلك الظن المتعجرف، وإدراك أن التجربة الإسلامي لديها الكثير الذي تستطيع أن تعلمنا إياه»[٣]، وهذا يدخل في مفهوم حوار الحضارات وتبادل المنافع بين الثقافات لكافة الأمم والشعوب إعمالاً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[٤].

ولعل أبرز مثال يمكن تقديمه عن أهمية مشاركة الحضارات في إعادة صياغة مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان خصوصاً مشاركة الحضارة الإسلامية باستدراك تلك النواقص نتذكر كتاب الطبيب الكندي البرفسور كيث مور الذي اشتهر في طب علم الوراثة والأجنة والذي ظل كتابه (علم الوراثة) يُدَرَّسْ على مدى ثلاثين عاماً في كليات الطب في جميع أنحاء العالم على أنه أهم مرجع موثوق في هذا العلم ولم يضف إليه جديد أو مفيد ، ولكنه بعد هذه الأعوام الطوال عرف الكثير من الحقائق الطبية والعلمية مما جاء في القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ

والتي قال كيث مور نفسه عنها: « إنني عجبت كثيراً لما في القرآن والسنة من أقوال عن علم الوراثة والأجنة والتي سجلت منذ القرن السابع الميلادي ، مع أنني قرأت عن تاريخ العلماء المسلمين في القرن العاشر الميلادي وإسهاماتهم في الطب، ولكنني لم أعرف الحقائق العلمية والطبية في القرآن أو السنة عن علم الوراثة والعناية بالإنسان قبل مولده، وهذا يثبت لي أن محمداً ﷺ رسول من الرسل »[٥].

وقد أعيد نشر كتاب كيث مور (علم الوراثة) في طبعته الثالثة متوجاً في جميع أبوابه وفصوله بالحقائق العلمية في القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد تم ذلك بالتعاون مع هيئة الإعجاز العلمي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وجامعة الملك عبدالعزيز في جدة بالمملكة العربية السعودية وبمشاركة علماء مسلمين من البلاد العربية والإسلامية يتقدمهم رئيس فريق العمل الشيخ عبدالمجيد عزيز الزنداني الذي أصبح اسمه على كتاب كيث على أنه مؤلف مشارك في العلم بما في الحضارة الإسلامية من حقائق علمية وطبية أصلها بحث الشيخ الزنداني: (مطابقة علم الأجنة لما في الكتاب والسنة) ، وهذا لا يحتاج إلى دليل كالشمس في رابعة النهار، إن الإسلام حضارته الإنسانية راسخة يمكنها أن تسهم في تعضيد مبادئ حقوق الإنسان بالحق والعدل والقسط .

٤ ــ وإننا إذ نذكر بعض النواقص التي يمكن تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهي عشرة نواقص، لا يعني إن تلك هي النواقص فحسب ولا يمكن أن يضاف إليها، بل إنها أهم ما لوحظ من المؤلف وهو يقرأ مواد الإعلان. ولعل رسالة الحقوق للإمام زين العابدين بن الحسين بن علي التي تضمنها الباب الأول من هذه الموسوعة فيها كثير مما يمكن إضافته إلى مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وأننا سنفصل الحديث عن هذه النواقص لبيان ما يستدعيه الأمر من صياغة مواد تضاف إلى مواد الإعلان، إذ بدون الإيضاح والتفصيل لا يمكن معرفة المقصود، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

هذه هي الأهداف الرئيسية لهذا الباب في هذه الموسوعة، وهي أهداف علمية وموضوعية لا تعني الانتقاص أو الانتقاد، بل هي المشاركة الفكرية بما يحتويه التراث الإسلامي من مضامين ومفاهيم عقدية وشرعية تعود على الإنسان بقيم عليا وآداب سامية. وقد أكد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله هذه المعاني عندما تحدث بجلاء عن مزايا الشريعة الإسلامية والحضارة الإسلامية وما يمكن أن تسهم به في حياة الأمم والشعوب ضمن أعضاء الأسرة الدولية فقال: « وها نحن أولاء نشهد روح المساواة التي كان الإسلام أول من بشر بها حين أعلن أنه **«لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»**، هذه الروح تزحف الآن مكتسحة الفوارق المصطنعة بين طبقة وجنس ولون وحاكم ومحكوم، وها نحن أولاء نشهد روح العدالة الاجتماعية التي كان الإسلام أول من نادى بها حين قرر أن المؤمن لا يؤمن ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، هذه الروح تتمرد الآن على أنظمة القهر والتسلط التي قتلت العدالة باسم العدالة ، وما أحرانا ـ نحن المسلمين ـ أن نرحب بهذه التغيرات والتحويلات التاريخية لا أن نتقبلها على مضض، وأن نكون منها في موقع القيادة لا أن نكتفي بموقع في آخر الصفوف وأن نسهم في رسم اتجاهها بدلاً من أن نمشي وراءها دون أن ندرك غاية السير. ولقد منّ الله تعالى علينا ـ أيها الإخوة ـ حين منحنا الدليل الذي لا يضل والربان الذي لا يضيع والقائد الذي لا يخطىء ألا وهو شرع الله المطهر، كما بينه الكتاب الحميد والسنة الشريفة في مبادىء آلية لا تتغير ، مبادىء تعرف حق الضعيف وتضمن الحياة الكريمة للفقير وتلتزم بالشورى وتنتهج العدالة ، في طريق وسط يرفض التطرف والغلو كما يرفض الانحلال والتهاون ويضيق بالإفراط ، كما يضيق بالتفريط، ويبني مجتمعاً ينعم بتوازن يحفظ حرمة الفرد كما يحفظ حقوق الجماعة في توازن دقيق ، يضمن للمؤمن الحياة الطيبة في الحياة الدنيا، وتهيئه لمغفرة الله ورضوانه في الآخرة وإنا ـ بإذن الله ـ على هذا الطريق لسائرون ، وبحبل الله لمتمسكون ، وبراية التوحيد لمنتصرون»[٦].

وبدايةً يأتي الحديث عن إسهام الحضارة الإسلامية في موضوع حقوق الإنسان بالكلام عن حقوق الله خالق الإنسان مالك الملك بيده ملكوت السموات والأرض وله مقاليد الأمور وسلطانه على الإنسان والجان وكل المخلوقات جل شأنه وتقدست أسماؤه وصفاته والتي بمعرفتها تعرف الحقوق الأخرى .

obeikandl.com

الفصل الأول

حقوق الله جل جلاله

- قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ .
- قال رسول الله ﷺ : «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» .
- قال الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود : «وأما العبادة لا تصرف إلا لله وحده لا لملك ولا لنبي مقرب مرسل ، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة التي وردت في آخر سورة الذاريات في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾» .
- يقول المفكر الفرنسي روجيه جارودي **Roger Garaudy** : «أن الله أكبر من أعظم الملوك وإليه وحده يدان بالإجلال المطلق، وهو الحق الذي لا يجوز التصرف فيه إلابالصمود في وجه كل طغيان وبمعارضة كل سلطة، وهو الأساس الإلهي للمساواة بين جميع الناس من وراء أي تسلسل في المراتب الاجتماعية» .

obeikandl.com

حقـوق اللـه جل جلاله

لما كان من الضـروري الحديث عن مـفاهيم حقـوق الإنسان في الإسـلام وبيان عالميتها وتحديد مرجعيتها، ولما كان الكلام عن حقوق الإنسان في الإسلام في هذه الموسـوعة ينطلق من ثوابت الشـريعة الإسـلاميـة، فإن بيـان القواعـد العـامة لحـقوق الإنسان في الإسلام كان لازماً لتأسيس الخلفية العلمية والفكرية العقدية والتشريعية لما سيـتبع من بحث ودرس في هذه الموسـوعة، ولهذا تحـدثنا بشيء من الاختـصار عن حقوق الله جل جـلاله في الفصل الرابع من الباب الأول ضمن القواعـد العامة لحقـوق الإنسان في الإسلام، ولما لم تذكـر حقوق الله في مـقدمة الإعـلان العالمي لحقوق الإنسان وديباجته كما جاء ذكـرها والتأكيد عليها في إعلان القاهرة لحقوق الإنسان فـي الإسلام وفيـه: «إن الدول الأعضـاء في منظمة المؤتمر الإسـلامي، إيماناً منهـا بالله رب العالمين، خـالق كل شيء، وواهب كل النعم، الذي خلق الإنسـان في أحسـن تقويم وكرمـه وجعلـه في الأرض خليفـة ووكل إليه عـمارتهـا وإصلاحـها، وحمَّله أمانة التكاليف الإلهية..إلخ ». هذه الجملة وغيرها من العبارات التي وردت في ثنايا الإعلان الإسلامي تؤكـد أهمية الاعتراف بحقـوق الله وما شرع من الدين لخلقه ليعبدوه ويتعاملوا فيما بينهم بمقتضى ما أمر بعدل وقسط لا يظلم أحدٌ أحداً. ولعل في هذا جواب لقـول القائل ما صلة حقـوق الله بحقوق الإنسان؟ وقـد يقول البعض أن حقوق الله موضوع مختلف عن موضوع حقوق الإنسان؟ ، إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان انطوى على بعض المواد المخالفة للأحكام الإسلامية مما جعل المملكة العربية السعودية تتحفظ علـى تلك المواد ومنها حرية الإنسان في تغيير دينه وهي الكفـر بالله أو الردة، وهذا الأمـر مثـار شبـهة من بـعد المغـرضين في ظنهم أن ذلك مصادرة للحريات ، ولا يأتي بيان حكم الردة في الإسـلام ما لم تعرف حقوق الله ، فالردة هي إسقاط حقوق الله والكفر به، وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مـادة تجيـز للمرأة الزواج بمن تشـاء متى بـلغت سن الزواج وهذه المادة محل تحـفظ

عند كثير من المسلمين لأنها محاداة لشرع الله ، ومما قاله العلماء عن سبب تحريم زواج المسلمة بغير المسلم لأنه لا يحترم دينها عقيدة في توحيد الله والإيمان بنبي الإسلام محمد ﷺ مثلما تؤمن المسلمة بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام، إذن لا يصح إطلاقاً زواج المسلمة بغير المسلم حتى ولو كان مهذباً مؤدباً إنسانياً سامياً ، لأن الشريعة مثلها مثل أي تشريع إنما يسن لا ليراعي الأفراد بل يسن لمصلحة الأمة والجماعة. ولهذا ما لم تعرف حقوق الله ورسوله محمد ﷺ لا يتبين للإنسان معرفة بقية الحقوق والحدود والأحكام الإسلامية، ثم ليعلم الجاهلون أن من حقوق الله توحيده التام وعدم شتمه أو سبه ، قال رسول الله ﷺ : **«قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وإما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبه أو ولد»** [٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: **« ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله ، أنهم ليدعون له ولداً وأنه ليعافيهم ويرزقهم»** [٨]، ثم أن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في أن يحفظوا حقوقه بالتأدب حتى مع الوثنيين المشركين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٩]، أليست هذه الأسباب وغيرها مما ذكرناه سابقاً توضح علاقة موضوع حقوق الإنسان بحقوق الله؟ فالله يعطي الناس حقوقهم من عافية ورزق وهم ينتهكون حقوقه بالشتيمة والانتقاص، فحقوق الله أحق أن تؤدى وتعلم قبل حقوق الناس ومن بعد حقوق الله معرفة حقوق رسل الله الذين بعثهم لهداية الناس وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم ، ويجب ألا يظن بأن حقوق الإنسان في الإسلام هي مسألة تاريخية وضعية تتصل بعلاقة البشر فيما بينهم فحسب ولا صلة لها بحقوق الله جل وعلا وحقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام، حقاً إن مسألة حقوق الإنسان هي نوع من العلاقة بين البشر ولكن من الذي يحدد ضوابط وقواعد وأحكام وحدود تلك الحقوق ، إنه الله المشرع القائل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾[١٠]، **لذلك يجب ألا يفهم بأن الكلام عن حقوق الله وعلاقتها بحقوق الإنسان هو خلط**

بين مفاهيم عقدية إيمانية بمفاهيم تاريخية وضعية فذاك صحيح في النظرة العلمانية التي تفصل الدين عن الدنيا وليست هي كذلك في المنظور الإسلامي، وتتأكد العلاقة الحقوقية بين الله وعباده في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«هل تدري ما حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق الله على العباد أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً »**[11]، لذا فإن من يعرف الله وحقوقه وحدوده بالضرورة يعرف حقوق الإنسان، ومنها حقوق الأنبياء والرسل ، وفي هذا جاءت معاتبة الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من القرآن الكريم إلى المنكرين لحقوقه جل جلاله وحقوق رسله عليهم الصلاة والسلام، ولقد أدرك كثير من غير المسلمين ماهية العلاقة بين حقوق الله وحقوق الإنسان، فهذا الكاتب والأديب الفرنسي فولتير يؤكد بأنه لولا وجود الله وفضله ورحمته لما حفظت حقوقه إذ يقول: «لولا الله لخانتني زوجتي ولسرقني خادمي»[12]. فهذا اعتراف من فولتير بالله وأن الإيمان به والخوف منه يمثل بعض حقوقه جل شأنه بها تحفظ حقوق الإنسان، كما أننا نعلم أن الذين يخوضون الحملات الانتخابية يتحدثون عن تحقيق رغبات الذين يرشحونه ويحفظ حقوقهم ، وهنا نجد أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب خلال حملته الانتخابية ربط بين حقوق الله وحقوق الناس عندما انتقد منافسية من الديمقراطيين بأنهم نسوا الله في حملتهم الانتخابية ولهذا لم ينجحوا ، ثم قال: « **إننا شعب متدين بفطرته، وإننا ندين بتفوقنا للمبادىء اليهودية / النصرانية** »[13].

ويعتقد كثير من العقلاء أن سعادة الإنسان وحفظ حقوقه لا تكون إلا بمعرفة حقوق الله فهذا الكاتب الأمريكي رافي بترا في كتابه: (بعد الشيوعية سقوط الرأسمالية) يقول: « السعادة المطلقة تأتي فقط من البحث عن جوهر مطلق والذي نسميه عادة الله، والروحية المعاشة تعني إنجاز الأفعال التي ترضى الله خالقنا ، والمثقفون المحدثون أسقطوا الله من أفكارهم ومن مصطلحاتهم ، وعندما نلم بالطريقة التي بها القساوسة ورجال الدين استغلوا الإنسانية باسم الله على مدى التاريخ ، فإن

المثقفين قدروا بكل بساطة أن الله غير موجود وأنه لا يستحق عناء البحث»[١٤]، وبالتالي لم تعرف حقوقه جل جلاله، مع أن المادة الثامنة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص على حرية الدين ففي كل دين لابد من عابد ومعبود وبينهما حقوق متبادلة فكيف يطالب بحقوق العابد ولا يكترث بحقوق المعبود؟ وإذا كان غير المسلمين يعرفون العلاقة الوثيقة بين حقوق الله وحقوق الإنسان فمن باب أولى أن يعرف المسلمون تلك العلاقة، وإلا فما علاقة الحملات الانتخابية بنسيان الله كما جاء في كلام جورج بوش ، ولهذا تحدث الأستاذ الجامعي الهولندي الدكتور ر. ل. ميليما **R. L. Mileama** عن علاقة حقوق الله بحقوق الإنسان في جانبها التعبدي فقال: « ما هو جمال الإسلام الفطري في نظري، وما الذي شدني بالذات إلى هذا الدين؟ لقد أحببت الإسلام لأنه يؤمن بإله خالق واحد من اليسير على كل إنسان الإيمان به. الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الله الحكيم ، القوي الجميل الذي لا يحد إحسانه ورحمته حدود . وهناك تلك العلاقة المباشرة بين خالق هذا الكون وبين مخلوقاته وخاصة الإنسان الذي سخر له الله كل ما في الأرض جميعاً منه، فالمؤمن ليس بحاجة إلى وسيط ، لأن الإسلام لا يعترف بالقسس ورجال الدين ، والاتصال بالله في الإسلام يعتمد على الإنسان نفسه، وهو مسؤول عن عمله ، ولا يمكن التكفير عن خطاياه بتضحية بديلة يتقدم بها إنسان آخر »[١٥]، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٦]، فالآية تشير إلى حال المشركين والكافرين الذين ما قدروا حقوق الله وهو العظيم الأعظم، وتمادوا في غيهم وظلمهم وجبروتهم، استعلوا على الله ونفوا حقوقه ولم يعترفوا بها، واستعلوا على رسله ونسوا حقوقهم، وهكذا اعتدوا على الإنسان وظلموه في حقوقه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض**»،

ورواه مسلم من وجه آخر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد الله عز وجل يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ** : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾»[١٧].

فالله خلق الإنسان وكرمه ومنحه حقوقاً كثيرة لأداء حق العبودية والألوهية له جل جلاله، ومع أن عاقل لا ينكر حق الله ولا يجحد ألوهيته وربوبيته إلا أنه لم يرد تحديد تلك الحقوق الإلهية الربانية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولعل سبب ذلك اختلاف مفهوم مرجعية حقوق الإنسان في الإسلام والمفهوم الغربي مما تقدم بيانه في الفصل الخاص بمرجعية حقوق الإنسان في الباب الأول من هذه الموسوعة.

فعند الحديث عن المرجعية المعتمدة في الغرب حال إعداد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وكيفية تفسير نصوص مواده، تبين أن الغرب اعتمد المرجعية الأساسية لحقوق الإنسان بما يسمى بالحق الطبيعي أو القانون الطبيعي. وقد عمل الغرب على إستبعاد فكرة وجود قوانين إلهية تحدد حقوق الإنسان، مع أن فكرة القوانين الطبيعية عند نشأتها في العصر الروماني القديم قامت على أساس وجود ذات إلهية عليا تضع القواعد القانونية التشريعية .. إلخ، ولكن الفكر العلماني سعى إلى فصل الدين عن الدولة فكان من أبرز النواقص التي يمكن أن تتمم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من منظورها الإسلامي ومما يستوجب إضافته معرفة حقوق الله، فإن لم يعترف بحق الله وضُيّع حق الحق الحكم العدل جل جلاله مانح الإنسان الحياة والنعم فحقوق الإنسان حينئذ تضيع ولهذا قال تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١٨]، وأعظم حق لله على خلقه هو عبادته وحده لاشريك له واتباع شرعه دون شريعة أي أحد. ولقد كان النظر في حقيقة الله جل شأنه وعلو شأنه وحقه مجال للتنافس

بين كثير من أصحاب الحكمة الدينية والفلسفات الفكرية الروحية، فلقد ارتفعت صفات الإله عند أرسطو إلى ذروتها من التنويه والتجريد، ولكنها لم تدرك معنى الألوهية والوحدانية، وذهب أفلاطون إلى مذهب الغيبوبة الصفوية في صفات الله التي تمعن في الزيادة على كل صفة يوصف بها الله. فعند الفلاسفة صور لاتليق بالإله الواحد، فصورة جوبتر رب الأرباب كانت أقرب إلى الشيطان، وصورة الإله عند القدماء في اليونان والهند إذا كانت ارتقت إلى حقيقة التنزيه من جهة، إلا أنها هبطت إلى حقيقة التجسيم والتشبيه والتشويه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١٩] [٢٠].

وإذا كان الإله الواحد عند الفراعنة لاشريك له، إلا أنه لم يكن الإله الواحد الذي دعا إليه الرسل، إنه إله رُمز له بالشمس، وهو اسم مرادف له في كل الطقوس. أما الإله عند اليهود، وهو إله شعب إسرائيل، وليس إله رسل بني إسرائيل، ذلك الذي أسموه « يهوا»، أو «يهوه»، وهو صورة تبعد عن الوحدانية يشترك معه آلهة كثيرون، تعبدها الأمم التي جاورت العبريين في أوطان نشأتهم وأوطان هجرتهم. وفكرة الإله عند النصارى قامت على التثليث للأقانيم الثلاثة : الأب ، والابن ، والروح القدس[٢١].

لكن التوحيد الذي جاءت به جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من لدن آدم حتى محمد ﷺ إنما يتضمن الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله، لايعبد إلا إياه، ولايتوكل إلا عليه، ولايوالي إلا له، ولايعادي إلا فيه، ولايعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الألوهية والأسماء والصفات والربوبية التامة له سبحانه وتعالى، فقال تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٢٢]، وقال تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٢٤]، أي أن كل الأنبياء دعوا

الناس إلى عبادة الله وحده لاشريك له، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[٢٥]، وهذا في القرآن كثيرومتكرر لإثبات وحدانية الله وألوهيته. يقول الكاتب الكارديناال النمساوي كوينج: « لنقلها إذن في صراحة ووضوح: أن التوحيد عدو لكل من نصب نفسه معياراً للحياة الإنسانية في هذه الأرض ، وهذه الحقيقة هي التي ترسم لنا حدود الله فيقيسوا حياتهم وفق أمره ومشيئته وفي هذه الاستجابة لنداء الفطرة (كما يدعوها المسلمون) المستكنة في قلب كل بشر ، جوهر الإيمان بالله الحق المبين . ولعلنا بذلك نخطو الخطوة الحاسمة في إقرار التوحيد بين البشر»[٢٦] .

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية المقصود بالتوحيد الخالص، المتضمن إفراد الله بالألوهية، وتمام العبودية خالصاً من الشرك، فيقول : «وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم؛ كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد. إن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٢٧]، فالإنسان لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ماينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لاشريك له، فليس من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء يكون عابداً له دون ماسواه، داعياً له دون ماسواه، راجياً له خائفاً منه دون ماسواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهى عنه، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، لكنهم جعلوا له أنداداً فأشركوها مع الله، قال تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ

كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّه الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها، ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها، ثم يقول : إن هذا ليس بشرك، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك[٢٨].

وظلت فكرة التوحيد الحقيقية والإيمان بالإله الواحد هي ماجاء به الرسول محمد ﷺ ومن سبقه من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما تقدم ذكره في قول شيخ الإسلام ابن تيمية وذاك كان هو إدراك الكاتبة الإيطالية لورا فيشا فاغليري لمفهوم التوحيد في الإسلام، إذ تقول: « ولقد دعا الرسول العربي بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عَبَدَةَ الأوثان، وأتباع النصرانية واليهودية المحرفتين إلى أصفى عقيدة توحيدية، وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى[٢٩]»، ثم تبين هذه الكاتبة كيف أن دعوة جميع الرسل جاءت لتحرر الإنسان من قيود العبودية لغير الله، وفي ذلك حفظ لحقوقه التي بها يتحرر من أغلال الوثنية وعبادة الأصنام فتقول : « وبفضل الإسلام هُزمت الوثنية في مختلف أشكالها، لقد حرر مفهوم الإسلام الكون وشعائر الدين وأعراف الحياة الاجتماعية من جميع الهولات أو المسوخ التي كانت تحطُّ من قدرها، وحررت العقول الإنسانية من الهوى، لقد أدرك الإنسان آخر الأمر مكانته الرفيعة، ولقد أذل نفسه أمام الخالق رب العالمين، إنه

لم يصبح قادراً فحسب أن يقول مع إبراهيم، بل لقد تعين عليه في الواقع أن يقول مع هذا النبي : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾»[٣٠]. هذا ما أدركته هذه الكاتبة وعقلته عن الاسلام وضرورة معرفة حقوق الله جل شأنه خصوصاً توحيده وإفراده بالعبودية. وفي الموضوع نفسه يقول الكونت هنري دي كاستري: « أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها، لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه منذ خلقته، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته ونبوته، ولعل هذا البرهان من أوضح الأدلة على أن الإسلام وحي من الله، فإن مفهوم التوحيد الإسلامي عقيدة تميز بها الإسلام عن غيره، وليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه إنه أمام الجميع وفوق الجميع، وليس هناك قدوس آخر نشْركه معه»[٣١]. فلله حقوقه العظمى وإليه يرجع الأمر كله، ويلي ذلك حقوق من بعثهم لهداية الناس من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه،بعد ذلك تأتي معرفة حقوق الانسان.

هل بعد هذا العرض الموضوعي والتحليل العلمي يبقى لمن يدَّعي أن الإسلام دين باطل، وأن مسألة التوحيد ومفاهيمه أخذها الرسول محمد ﷺ من الديانات الأخرى، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. لاشك أنه لله الدين الخالص، وهذا قولنا اعترافاً بحق الله علينا اعترافاً بعبوديتنا له واعترافاً بألوهيته ووحدانيته ، لايضرنا من كفر إذا اهتدينا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والله يحكم مايشاء ويفعل ما يريد.

إذن فالله جل جلاله هو صاحب الحق وكل الحقوق التي ينادي بها الإنسان ويطالب بها، وهو ينسى فضل ربه وإلهه وحقه جل جلاله، قال سبحانه وتعالى:

﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٣٢]، إن فواتح هذه السورة تبين أن الله هو الذي خلق الإنسان فله تعالى وتقدس الحق الأكبر في الطاعة والعبادة والإذعان الكامل له بالعبودية ، انه فضل الله العظيم على الناس، فهو الذي خلقهم ورزقهم وعلمهم الكلام والبيان بما أودع فيهم من أجهزة الكلام من اللسان والأسنان والحنجرة والشفتان، كما علم الانسان آداب الحوار وإبداء الرأي، فقال سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[٣٣]، والدعوة إلى إبداء الرأي والحوار والمناقشة والمجادلة مبدأ علمه الإسلام للإنسان بما منحه الله سبحانه وتعالى من حق الحياة والخلق والإرادة والتعبير، فالله الإله الحق هو الذي أمرنا بالتفكير ، والتدبر، والتبصر والنظر في ملكوت السموات والأرض، يقول الله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[٣٤] ،ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٣٥]. هذا إذن هو مفتاح الدليل لمعرفة حقوق الله جل جلاله قَبْل حقوق الإنسان، وهذا يعني أن يسلك الإنسان إلى هذا سبيل الانتفاع بحواسه وعقله وتفكيره، وذلك بالتدبر في عالم الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وفي عجائب خلق الأرض والسموات والسنن التي تُدبرها وتحكم أمورها بإذن ربها، وفي بدائع مافطر الله سبحانه وتعالى عليه الحيوان والنبات على اختلاف

أجناسها وأنواعها، وحينئذ يعرف يقينا أن هذا كله لم يكن مصادفة بلا خالق ورب، بل كله من صنع إله قادر حكيم له الأمر والحكم وله كل حق جل جلاله، ونذكر في سبيل بيان بعض ما أمر الله به بالنظر اليه والتفكر فيه ليكون ذلك سبيلاً لليقين بوجوب معرفة الله مما يترتب عليه معرفة حقوقه جل وعلا، قال تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٣٦]، وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٣٧]، ويقول عز من قائل : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣٨].

ولبيان حقوق الله وإثبات وجوده لأولئك حملة الفكر المادي العلماني وأصحاب الضلال والإلحاد في بعض الدول من المسلمين وغير المسلمين نورد بعض الآراء العقلية التي لا تتعارض مع الآراء النقلية، لكي يعلم الكافرين بالله وبحقوقه أنهم يقدروه حق قدره جل وعلا ، فهذا الإنسان مم خلق؟ خلق من قطرات من ماء ينزل من صلب الرجل ويخرج من ترائب المرأة حين الاتصال المعروف بينهما، وهذه «النطفة» المتشابهة الأجزاء حين ينظر المرء إليها ، كان منها الإنسان بما فيه من عظام ولحم وعضلات وأعصاب وأوتار وعروق، ولكل من ذلك وظيفة يقوم بها وعمل يؤديه، وكل هذا في انسجام واتساق عجيب، فمن الذي جعل ذلك كله من تلك القطرة أو القطرات من السائل المهين؟ ومن الذي جعل منها كل تلك الأنواع من العظام واللحم والأعصاب وما إليها؟ ومن الذي جعل منها كل تلك

الأجهزة التي لاقوام للإنسان بدون واحد منها : جهاز للنظر، وآخر للسمع، وآخر للشم، وآخر للذوق، وجهاز للدورة الدموية، وجهاز للعقل والفكر، وجهاز للاحساس.. وهكذا؟[٣٩]. هل ذلك يقتضي شكر الخالق المنعم فحمده والثناء عليه إعترافاً بفضله وحقوقه عز وجل . لايمكن أن يكون كل هذا أُوجِدْ من نفسه من غير موجد وخالق، فهناك على اليقين قوة عليا قادرة حكيمة مريدة، إنها قوة « الله » القادر العليم الحكيم، الله خالق كل شيء، الله أحسن الخالقين الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهكذا بالتفكير في عجائب الإنسان وبديع خلقه وكمال صنعه يصل المرء إلى الإيمان بالله الذي خلقه فأحسن خلقه، ولا عجب! فهو صنع الله الذي أتقن كل شيء، وهو بكل شيء عليم إذن الحقوق الطبيعية ليست هي الموجدة لكل ذلك والخالقه لها والمدبرة لها.

وهذه الأرض نراها مسخرة لنا وطيعة فيما نريد منها، فهي لنا فراش ومهاد، ونمشي في مناكبها حيث نريد، وينزل عليها الماء فتحيا بعد أن كانت تبدو مواتاً، ويخرج منها عجائب النبات والزروع والغراس من كل زوج بهيج، وقد يخرج منها شجرتان يجمعهما أصل واحد بارد أو حار أو معتدل، ومع هذا كله يكون من كل من الشجرتين ثمرات مختلفات في اللون، ومتفاضلات في الذوق والطعم، أليس في ذلك دليل على صنع إله حكيم؟ وليس صنع الطبيعة والحق الطبيعي في الخلق والكون وما سخره الله للإنسان بلى! وهو علي كل شيء قدير. وبعد هذا نجد من الآيات الدالة على وجوب معرفة حقوق الله تعالى، وعلى أنه هو الذي خلق هذا العالم بأرضه وسمائه وما بينهما، وأي آيات أعظم من هذا الكون العجيب، الأرض بما تحمل فوق ظهرها وماتضم في باطنها، والسماء ومافيها من أفلاك وكواكب وأجرام، والليل والنهار يتعاقبان بنظام ليستطيع الإنسان الحياة والحركة والسكون، والسحاب المسخر بين السماء والأرض وما ينزل منه من ماء به قوام الحياة، ووجود الهواء والشمس وهما ـ كما نعرف ـ ضروريان لحياة الإنسان والحيوان والنبات. كل ذلك ونحوه أدلة قاطعة لوجود الله القادر المريد العليم الحكيم مانح

الإنسان الحياة والكرامة والرزق والعقل وجميع النوال والنعم، فلماذا نكفره ولا نشكره ولانسعى إليه ونحفد ولا نعترف بحقوقه؟ ونقول بغير فهم أن حقوق الإنسان أساسها الحق الطبيعي، أليس مفهوم القوانين الطبيعية في الحضارة الهيلنية اصدق وأقرب إلى معرفة حقوق الله، ذلك المفهوم الروماني الذي يقول بأن الحقوق قامت، على أساس وجود ذات إلهية عليا تضع القواعد القانونية والتشريعية كما ذكرنا سابقاً، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾[٤٠].

والنتيجة لهذا كله، هي أن كل موجود في العالم أرضه وسمائه ومابينهما من مخلوقات إنس وجن وملائكة ونبات وجماد، يدل بالنظر والتفكير على الاعتراف بحقوق إله واحد قد أوجده على النحو الحكيم البديع الذي وجد عليه، وكذلك كل هذه الموجودات من السموات والأرض والنبات والحيوان بأجناسه وأنواعه العديدة المختلفة لم تكن قبل موجودة، وكل موجود بعد عدم لابد أن يكون له موجد، وليس هذا الموجد إلا الله المريد العالم الحكيم.

هكذا يجب في رأينا أن يكون العالم، ومافيه من عجيب الصنعة والإعجاز، هو الدليل القاطع على وجود الله الخالق له، وهو الطريق الصحيح الذي يؤدي بمن يفهمه حق الفهم إلى معرفته، وقد زاد الأمر وضوحاً هذه الأيام من خلال الكشوف العلمية والطبية والحسابية ..إلخ . نعم ! لم يبق للملحدين أو المرتابين في وجود الله خالق كل شيء ومدبر الكون كله أن يتعللوا بأنهم لايؤمنون بما لم يقم دليل من العلم الحديث عليه، فقد سار العلم الطبيعي في طريق التقدم شوطاً بعيداً، وكشف الكثير من أسرار الكون ومغاليقه، فزاد الباحثين المنصفين بأدلة كثيرة على وجود الله سبحانه وتعالى، وأنه المرجع الوحيد لكل شيء إليه يرجع الأمر كله في

حقوق الأنبياء والرسل وحقوق الإنسان وليس مردها أو مرجعها إلى الحق الطبيعي أو القانون الطبيعي.

ولنقرأ ما قاله الأستاذ كريسي موريسون الرئيس السابق لأكاديمية العلوم الطبيعية بنيويورك، ورئيس المعهد الأمريكي لهذه المدينة، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة الأمريكية الذي كتب في هذا الموضوع كتاباً قيماً جديراً بالقراءة والتقدير، وقد ترجم هذا الكتاب للغة العربية باسم : (العلم يدعو للإيمان)، وهذا الكتاب ذو قيمة كبيرة في بابه كما ذكرنا ، وفيه يقول المؤلف في آخر مقدمته : « ضوء يلقى على الخفاء الواسع الذي يحيط الآن بما هو غير معروف لنا ظاهرياً، وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى، أي إلى وجود الخالق»[٤٠]، فالاعتراف بوجود الخالق يقضي بالضرورة معرفة حقوقه وحدوده وعدم الاعتداء عليها. إن الغاية السامية التي توخاها موريسون هي إثبات وجود الله ووحدانيته بأدلة من العلم المادي الحديث وعلوه على كل شيء وأنه صاحب كل حق علينا، وكان العهد بدعاة الإلحاد أن يحتجوا لدعوتهم بأدلة يحسبونها علمية، حتى لقد ظن البعض أن العلم والإيمان نقيضان لايجتمعان. ولكن الحق أحق أن يتبع. وحق الله أولى بالرعاية والحفظ فهو مالك الملك والكون والوجود، ومالك جميع الخلائق من إنس ومن حيوان ونبات وجماد وبر وبحر. فهو خالقها وموجدها لا خالق ولا رب ولا إله لها سواه جل شأنه، ولا شريك له فيها ينازعه، ولا ضد له فيه يعارضه ويعانده.

والمسلم يؤمن بما لله تعالى عليه من منن لاتحصى، ونعم لاتعد اكتنفته من ساعة علوقة نطفة في رحم أمه، وتسايره طيلة حياته إلى أن يلقى ربه عز وجل فيشكر الله تعالى عليها بلسانه بحمده والثناء عليه بما هو أهله، وبجوارحه وأركانه بتسخيرها في طاعته، ويؤمن بها بجنانه فهي حق الله على عباده شكره بها وعدم كفران النعم، وجحود فضل المنعم، والتنكر له ولإحسانه وإنعامه، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا بِكُم مِّن

نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[٤١]، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾[٤٣]، ويقول جل جلاله: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾[٤٤].

وينظر المسلم إلى علمه تعالى به وبأحواله وسلوكه وتصرفاته واطلاعه على جميع أموره في حياته وما يكون عليه أمر آخرته، فيمتلئ قلبه منه مهابة ونفسه له وقاراً وتعظيماً، فيخجل من معصيته بظلم نفسه والإساءة إلى حقوقها، وبظلم أخيه الإنسان وانتهاك حقوقه، ويستحي من مخالفته، والخروج عن طاعته أداءً لحقوق الله، إذ ليس من الأدب والحق في شيء أن يجاهر العبد سيده بالمعاصي، أو يقابله بالقبائح والرذائل وهو يشهده وينظر إليه، قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[٤٥]، وقال جل جلاله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾[٤٦].

وينظر المسلم إلى ربه تعالى وما له من حقوق عليه وقد قَدرَ عليه، وأخْذَ بناصيته، وأنه لامفر له ولامهرب، ولامنجا، ولا ملجأ منه إلا إليه، فيفر إليه تعالى ويتضرع بين يديه، ويفوض أمره إليه ويتوكل عليه، فيكون هذا رعاية لحقوق ربه وخالقه، وينظر المسلم إلى شدة بطش ربه، وإلى قوة انتقامه، وإلى سرعة حسابه فيتقيه بطاعته، ويتوقاه بعدم معصيته فيكون هذا حفظاً لحقوق الله ومحارمه، إذ ليس من الأدب عند ذوي الألباب أن يتعرض بالمعصية والظلم العبد الضعيف العاجز للرب العزيز القادر، والقوي القاهر وهو يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾[٤٧]، ويقول جل جلاله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾[٤٨]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾[٤٩]. فماذا يظن أولئك الناس التي تحل ببلادهم الكوارث من فيضانات المياه، وحرائق الغابات، وثورة البراكين والزلازل، أهو من الطبيعة أم من عند الله؟ فما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، وأعظم الذنوب التي يقترفها الإنسان أن يجعل لله نداً وهو خلقه، وهذا منتهى الإنكار

والتنكر لحق الله في وحدانيته وصمدانيته ، وهذا انتهاك لحقوق الله في العبودية وإفراده بالعبادة فاعرف أيها الإنسان حقوق الله وامتثل لأوامره عقيدة وشريعة.

وينظر المسلم إلى الله عز وجل عند معصيته، والخروج عن طاعته وكأن وعيده قد تناوله، وعذابه قد نزل به، وعقابه قد حل بساحته، كما ينظر إليه تعالى عند طاعته، واتباع شرعته وكأن وعده قد صدقه له، وكأن حلة رضاه قد خلعها عليه فيكون هذا من المسلم حسن ظن بالله ورعاية لحقوقه، ومن واجب المسلم في حق ربه حسن الظن به، إذ ليس من الأدب أن يسيء المرء الظن بالله فيعصيه ويخرج عن طاعته، ويظن أنه غير مطلع عليه، ولا مؤاخذ له على ذنبه، يقول جل وعلا: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥٠]، كما أنه ليس من الأدب مع الله وحفظ حقوقه جل شأنه أن يتقيه المرء ويطيعه وهو يظن أنه غير مجازيه بحسن عمله، ولا هو قابل منه طاعته وعبادته، والله عز وجل يقول : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٥١]، ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥٢]، ويقول تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[٥٣]، وليس من الأدب في شيء الفرار ممن لامفر منه، ولا الاعتماد على من لاقدرة له، ولا الاتكال على من لاحول ولاقوة له. قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[٥٤]، وقال عز وجل : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٥٦].

وينظر المسلم إلى ألطاف الله تعالى به في جميع أموره، وإلى رحمته له ولسائر خلقه فيطمع في المزيد من ذلك، فيتضرع له بخالص الضراعة والدعاء، ويتوسل إليه بطيب القول، وصالح العمل فيكون هذا أدباً منه مع الله مولاه، إذ ليس من الأدب في شيء اليأس من المزيد من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ولا القنوط من

إحسان قد عم البرايا، وألطاف قد انتظمت به الوجود قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥٧]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[٥٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾[٥٩]، وقال جل وعلا: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[٦٠]، فمعرفة الله وحقوقه وقدرته حرّي بالإنسان ألا يخش أحداً، وليعلم أنه صائن حقوقه وراعيها.

إن معرفة الإنسان لحقوق الله وحفظها لايجعلنا أن نتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ولايضرب بعضنا رقاب بعض ولانظلم أنفسنا وغيرنا ونأكل أموال بعضنا بالباطل ونشن الحروب العسكرية الاستعمارية، والحروب الثقافية والفكرية والإعلامية والاتصالاتية، والحروب الدينية، والحروب الاقتصادية .. إلخ.

هكذا إذن فإن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بحاجة إلى بيان وتأكيد حق ذي الجلال والتعظيم والتقديس لله سبحانه وتعالى، ومعرفة الإنسان حقوق ربه حقوق الألوهية والربوبية والأسماء والصفات لله رب العالمين، وعن حقوق المولى جل وعلا يتحدث الإمام أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي في كتابه: (الرعاية لحقوق الله) فيقول : « وأما ماسألت عنه من الرعاية لحقوق الله عز وجل، والقيام بها فإنك سألت عن أمر عظيم، أصبح عامة زمانك له مضيعين، وهو الأمر الذي تولى الله على أنبياءه وأحباءه لأنهم رعوا عهده وحفظوا وصيته»[٦١]، ثم ذكر رحمه الله تعالى الحديث الذي يرويه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبوجعفر الباقر عن النبي ﷺ أنه يقول لهم الملك العظيم في الوقت الذي آمنو فيه من كل ماكانوا يخافون، وحلو في كل ماكانوا يأملون، وفيما لم تبلغه آمالهم، في المقعد الصدق الذي وعدهم فيه أن يريهم وجهه، ويبلغهم فيه غاية الكرامة من رؤيته ورضوانه، فقال لهم في ذلك المقعد الذي ليس فوقه منزلة، ولا بعده غاية أو كرامة : **«مرحباً بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي، وخافوني بالغيب»**[٦٢]، لأنهم حفظوا ما استرعاهم الله فيه واستودعه لديهم فكل ما أمر الله بالقيام به قد أمر برعايته، كما قال النبي ﷺ : **«كلكم راع**

وكلكم مسؤول عن رعيته»[٦٣]. وهذه قاعدة إسلامية وإنسانية عظيمة تعني رعاية حقوق الله والحكم بما أنزل الله وفيها تراعى حقوق الانسان.

مما سبق يتضح كيف أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم يتوج ببيان حقوق رب الخلق رب الناس ملك الناس إله الناس الذي أمر عباده جميعاً خصوصاً اليهود والنصارى ومنهم الكثيرين الذين أسهموا في إعداد وصياغة وإخراج الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٦٤]. فالله هو الفاعل المختار في ملكه بما يشاء وكيف شاء لا يصده عن ذلك صاد ولا يمنعه مانع يحول دون تصرفه في ملكه وخلقه فالأمور كلها بإرادته واختياره، وكل فعل من أفعاله جار على الحكمة والعدل والصواب وميزان الحق، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٦٥]. وجميع أفعال الله وما شرع لعباده لا تخلو من حكمة وفائدة لعباده سواء علمناها أو لم نعلمها. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[٦٦]، وقال جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[٦٧].

والآيات السابقات تدل على عناية المولى جل وعلا بوجوب حفظ حقوق الناس بمقتضى أوامر الله جل جلاله ومنها حفظ حقوق الله سبحانه وتعالى، ولننظر متدبرين هذه الآيات الكريمات وما فيها من سؤالات وبيان. يطرحها صاحب كل الحقوق جل جلاله على عباده من واجبات كما جاءت في سورة تبارك الملك قال تعالى :

١ – ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٦٨].

٢ – ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٦٩].

٣ – ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾[٧٠].

٤ – ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[٧١].

٥ – ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٧٢].

٦ – ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾[٧٣].

بعد هذا البيان والتفصيل لحقوق الله ووجوب رعايتها والأخذ بها يمكننا القول بأنه من المناسب تصدير الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ببيان حقوق الله وواجب الإنسان نحوها، مثل الذي نجده في الديباجة التي تصدرت إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الاسلام، للاستفادة منها لإبراز حقوق الله، ويمكننا تقديم مقترح آخر وهو ليس بديلاً عما جاء في ديباجة إعلان القاهرة فنقول: أن جميع الأفراد والشعوب والأمم المؤمنة بألوهية الله جل جلاله محبة وتعظيماً وخضوعاً ومفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، القرين بكمال ربوبيته ورحمته وكمال الملك والحمد ورحمانيته وملكه، العارفين بصفات جلاله وجماله وإلهيته له القدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القوة والتدبير لأمور ملكوته في السموات والأرض وما بينهما. فهو إله ورب الخلق أجمعين له جميع الحقوق وعلى خلقه جميع الواجبات، له بأنه الله واهب الإنسان كل النعم واستخلفه واستعمره في الأرض لعبادته وحده لا شريك له وتطبيق شرعه الذي بعث به أنبيائه ولم يرفع أحداً على أحد إلا بالتقوى. فالإنسان أصل خلقه من تراب من الرب الواحد والأب الواحد والأم الواحدة، وقضي بحكمته أن جعل الناس مختلفي الألوان والألسن، متعددي الشعوب والقبائل. إيماناً بذلك كله وتلازماً لحقوق الإنسان وربط الروح

بالجسد واعترافاً بحقوق الله أن نعبده كأننا نراه وإن لم نكن نراه فإنه يرانا، قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٧٤] ، بهذا الميزان تعرف حقوق الله وتحفظ حقوق الإنسان، ولننظر ما تحدث به المفكر الفرنسي روجيه جارودي عن حقوق الله إذ قال : « إن الله أكبر من أعظم الملوك وإليه وحده يدان بالإجلال المطلق، وهو الحق الذي لا يجوز التصرف فيه إلا بالصمود في وجه كل طغيان وبمعارضه كل سلطة، وهو الأساس الإلهي للمساواة بين جميع الناس من وراء أي تسلسل في المراتب الاجتماعية»[٧٥] ، ويقول الملك فهد بن عبدالعزيز: «وإنه لا يثلج صدورنا ــ نحن المسلمين ــ أن نرى المبادىء التي تبنتها شريعة السماء قبل أن تسمع بها شريعة من شرائع الأرض ، أن نرى هذه المبادىء تفجر التغييرات الهائلة التي تتمخض عنها كرتنا الأرضية، وتقود التحولات الكبيرة التي تغير الآن مجرى التاريخ ، وها نحن أولاً نشهد روح الحرية التي كان الإسلام أول من جسدها حين ألغى عبودية الإنسان للإنسان ، في شهادة التوحيد **(لا إله إلا الله)** ، وهذه الروح تدمر الآن قلاع الطغيان المستتر وراء الشعارات البراقة والأقنعة الزائفة»[٧٦]، فالله أكبر وأعظم وله الحق أولاً وآخراً .